دراسة مقارنة في خلق آدم a من منظور العلامة الطباطبائي وديانة الصابئة المندائية

قدرت اللّه خياطيان (الكاتب المسئول)
أستاذ، قسم الأديان والعرفان، كلية العلوم الانسانية، جامعة سمنان، إيران
سيّد ضياء الدين خرّم شاهي
طالب دكتوراه العرفان التصوف، كلية العلوم الانسانية، جامعة سمنان، إيران
khoramshahi@semnan.ac.ir

The difference between the Creation of Adam from Allameh Tabatabaei and Mandaean religion point of view

Dr. Ghodrat allah khayatiyan (manager wariter)
Professor , Department of Religions and Mysticism , College of Human Sciences , University of Semnan , Iran
Sayed zia aldin khoramshahi
PhD student , Al-Irfan Sufism , College of Human Sciences , University of Semnan , Iran

الملخص:-

إن التساؤل حول خلقة الإنسان والإنسان الأول وتوالي الأجيال بعده، كان أحد المواضيع التي ناقشها الكثير من الأديان والأفكار والطقوس الدينية ومن جهة أخرى هناك بعض وجهات النظر من جانب علماء الأحياء القائلين بالتطور المتقدم لأجيال البشر وتحولات الحاصلة في مظهر الانسان وهيكله وقد أكدوا على هذه النقطة بأن البشر الأوليين كانوا مجرد كائنات حية وحيوانات بالتحديد وفي طيلة التاريخ والأجيال تغير مظهرهم وهذا التضارب بين الرأيين أصبح مجالاً جديداً للخطاب والفكر حول الانسان الأول.

يتناول البحث الحاضر هذه المسألة من وجهة نظر الإسلام بناءً على يطرحه العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ومقارنته برأي الصابئة المندائيين بناءً على كتاب ورجافند كنزا ربا (صحف آدم a). للمندائيين عقائد تتعارض مع الأديان الإبراهيمية حول خلق آشو آدم ويستمر هذا التناقض في كيفية تتبع النسب والمواليد بعد ذلك، ولا سيما النوع الثاني من آشو آدم.

يقوم البحث الحاضر على المنهج الصفي التحليلي وتدل نتائجه على نظرة المندائيين المختلفة مع الأديان الإبراهيمية ولاسيما الإسلام حول خلقة النبي آدم a وزوجته وكيفية هبوطهما.

الكلمات المفتاحية: خلق الانسان، تفسير الميزان، الاسلام، كنزا ربا، الصابئة المندائيين.

Abstract:-

The subject of human being's creation and continuity of generations is one of the most controversial issues in all religions in the world. Furthermore, some biologist's perspective on human being's gradual evolution in turning to the current shape in time and the emphasis on the idea that human being is the only living being created on earth in the inception of the world creation have been challenged considerably so far.

This research sheds light upon this believes in the ideology of Islam according to Tababati's words in Al-Mizan and compares it with Mandai's believes based on the holy Ganzaraba. In terms of human being's creation and the continuity of the second generation of Adam's sons Mandai followers have different believes than the followers of Abraham's religions.

key word: Human being's, Al Mizan Interpretation book, Islam, Ginza Rba, Sabian Mandaean.

المقدمة:

من القضايا المهمة التي شغلت العقل البشري دائمًا هي كيف وأين جاء إلى الوجود ولتحقيق أي هدف جاء إلى الوجود، وهذه القضية خلقت العديد من الآراء والتناقضات بين مختلف الفئات ولغرض تبيين كيفية حدوث هذا الأمر تم اقتراح العديد من الافتراضات، على الرغم من أن الكتب المقدسة قد عبرت عن هذه القضية وشرحتها بأقصى درجات الدقة والوضوح، إلا أن هذا لم يقلل من الاختلاف وتضارب الآراء.

جاء في القرآن الكريم: أن الله تبارك وتعالى أعلن إرادته ومشيئته للملائكة في خلافة الإنسان وولايته على الأرض، وأراد أن يخلق مخلوقاً يكون ممثلاً له في الأرض وتكون صفاته شعاعًا من صفات الله سبحانه. وفي الوقت نفسه وضع كل الأرض والقوى والكنوز والمناجم والبركات تحت تصرفه وجعل كل ما في السماوات والأرض مسخراً له.

بعد الحديث الذي دار بين الله والملائكة، تجلت إرادة الله أخيرًا وخلق آدم أبو البشر a بيد قوة الله وصدر الأمر للملائكة بالسجود له. خضع وعظّم جميع الملائكة وسجدوا أمامه، إلا أن الشيطان الذي وقع في حبالة الكبرياء والغطرسة أبى أن يسجد له (بقره ٣٤-٣٠).

قصة الخلق هي قصة رمزية في الثقافة السائدة بين الناس، تتحدث عن بداية العالم وكيف نشأ الناس. بعض السمات شائعة بين الأساطير الخاصة بالخلق. في كل هذه القصص، هناك مخططات عامة وشخصيات مؤثرة، يتسبب مظهرها وأدائها في تغييرات كبيرة ودائمة في العالم.

من مظاهر الجمال اللامتناهي لإيران، والذي قلما نراه في بلدان أخرى، كثرة وتنوع القوميات والأعراق واللغات وكذلك الأديان والطقوس، حتى يتمكن وذوو الدينات الأفكار المختلفة، دون محاولة لفرض معتقداتهم على الآخرين، جنبًا إلى جنب ذوي الأديان الأخرى، أن يعيشوا برغد ويبنوا أعلى مستوى من التعايش والتعامل معًا ورفع راية العيش الكريم. ويعتبر هذا السلوك من علامات التمسك بأسس المبادئ الحسنة والتسامح بين الأديان السماوية، ونظراً لأهمية الموضوع لمعرفة الإنسان، فقد حاول البحث القيام بمقارنة بين منظور العلامة الطباطبائي حول قسم المعارف المتعلقة بالانسان وقضاياه المحورية، بما في

ذلك كيفية خلق الإنسان، مبراجعة كتبه القيمة مع رأي الصابئة المندائيين حول الخلق.

غالبًا ما يُذكر العلامة السيد محمد حسين طباطبائي في عالم العلوم كفيلسوف كبير ومفسر للقرآن الكريم، وقد ناقش خلق الإنسان من بين مؤلفاته وكتاباته - في الغالب - في التفسير الميزان القيّم.

الصابئة المندائيون هم أتباع الديانة التوحيدية الأقدم في العالم، الذين بنوا أسس معتقداتهم على أسس التوحيد الثلاثة؛ التوحيد والنبوة والمعاد. يعتبر خلق الوجود من أكثر القضايا اللاهوتية تعقيداً لديانة الصابئة، وقد لا يكون من الممكن فهم أسرارها وتعقيداتها بنظرة بسيطة وأولية. في قسم يمين من كتاب كنزا ربا، كتب على هذا النحو عن خلق النبي آدم a : في خلق العالم المادي، خلقت السماء ثم الأرض. أمر الله ملاكًا اسمه أبثاهيل أن يفرش السماء ويضع فيها النجوم والقمر والشمس، ثم خلق الأرض. كانت الأرض ساخنه في البداية ثم بردت. بعد ذلك جرى في الأرض ماء الحياة (الماء الجاري) الذي نشأ في مرحلة العالم الروحي، وظهرت الخضراوات والفواكه والأسماك والطيور والحيوانات البرية والداجنة (شيرالي، ١٣٩٢: ٤٣).

تفصيل البحث:

خلفية البحث:

لم يقم أي باحث خارج الديانة بدراسة المبادئ الدينية المندائية حتى الآن، وما جاء عن هذه الديانة إنما جاء من خلال أعمال رجال الدين والمثقفين المندائيين وقد كان ذلك في الغالب حول وصف المعتقدات أو طريقة الطقوس الدينية أو الأدعية لاستخدامها بين أتباع الديانة.

تم إجراء بحث في مجال اللسانيات (اللغة السامية، الآرامية) للسيدة سهيلا أحمدي في رسالة ماجستير في مجال اللغويات. (احمدي، سهيلا، مركز البحوث الإنسانية والدراسات الثقافية).

وتم اجراء بعض الأبحاث في المجال التاريخي أو من وجهة نظر أنثروبولوجية.

ولكن هناك فجوة في البحث والاستكشاف في أسس المعتقدات ومقارنة وجهات النظر المندائية مع الأديان الأخرى، وخاصة الإسلام، بناء على ذلك فإن هذا البحث ضروري ومفيد لمعرفة هذا الدين القديم وقد اصبحت هذه المقالة هي المحاولة الأولى لدخول هذا

المسار. في هذا المقال، يُطرح الحديث عن خلق آدم والجيل الذي يليه من وجهة نظر المندائيين، وتتم مقارنته مع رأي العلامة الطباطبائي، مؤلف تفسير الميزان القيم، ونناقش أوجه التشابه والاختلاف.

منهج البحث:

منهج البحث في هذا المقال هو المنهج الوصفي - التحليلي من خلال القراءات المكتبية والبحث الميداني. تم الحصول على مصادر هذا البحث من الكتب المشهورة، وكذلك مقابلات ومحادثات مباشرة وجهاً لوجه مع شيوخ ومثقفي الديانة المندائية.

ولتجنب أي تحريف في فهم الباحثين، تم إرسال النص النهائي لقراءة وقبول المعلم العظيم والزعيم الروحي للعرفان المندائي السيد أشكندا سالم جحيلي والأم الروحية للمندائيين الإيرانيين السيدة المثقفة السيدة رابسان خفاجي‌زاد.

من هم الصابئة؟

هذه المجموعة من الإيرانيين الذين يضطرون، من أجل أداء شعائرهم الدينية وصلواتهم، إلى اختيار منازلهم بجوار المياه الجارية الصالحة للاستخدام على مدار السنة، منذ انفصالهم عن وطنهم الأم والانضمام إلى أرض إيران، عاشوا في مدن محافظة خوزستان واستقروا هناك ولا يزال معظم المندائيين يعيشون في هذه المنطقة.

وقد ذكر القرآن الكريم الصابئة في ثلاث آيات واعتبرهم من المهديين والمؤمنين بالتوحيد. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/٦٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة/٦٩). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج/١٧). بالرغم من أن بعض المفسرين يرون الصابئين المذكورين في القرآن بمعزل عن المندائيين في الوقت الحالي، ولهم في ذلك آراء شتى؛ لكن سماحة آية الله سيد على الخامنئي (حفظه الله) اعترف هذه الطائفة من الموحدين بكل وضوح ويرى هؤلاء هم المذكورين في القرآن وبأنهم من المهديين (خامنئي،١٣٨٨). يسمى الكتاب المقدس لدى

المندائيين كنزا ربا (الكنز العظيم) ويرون بأنه جاء من جانب آشو آدم وهذا الكتاب القيّم يتكوّن من قسمين؛ اليمين واليسار ويعتبر هذا الكتاب هو النظام الأساسي والدستور المبدئي لهذه الديانة.

تسميتهم بالمندائيين:

كلمة "الصابئة" مشتقة من "صبا" وتعني التعميد في المياه الجارية. التعميد هو أحد الركائز الهامة لديانة الصابئة المندائية، لأن الصابئة يتعمدون في المياه الجارية، أطلق عليهم هذا الاسم. يُطلق على الصابئة أيضًا المغسلون، والمعمِّدون، والمعمَّدون، و المغتسلة. تتكون كلمة مندائي من جزأين "مندا" و "ي"؛ وتعني مندا أو ماندا العرفان والمعرفة بالله و حرف "ي" هي ياء النسبة والتعلق. على هذا الأساس، فإن المندائيين هم الذين يتناولون معرفة الله كرسالة دينية. اللغة والكتابة المندائية مشتقان من اللغة الآرامية التي تتحدثها بعض القبائل السامية وكتاباتها مكتوبة بنفس اللغة، والتحدث بهذه اللغة والتكابة بها له صعوبات خاصة به في الوقت الحاضر.

خلق الإنسان:

يعد خلق الإنسان الأول وكيفية الهبوط على الأرض من أهم الأسئلة الأساسية في مجال الفكر الديني. تؤمن الديانات الإبراهيمية أن الله خلق الإنسان الأول - آدم - من الطين ثم من نفس الطينة، خلق زوجته ونفخ روحه فيهما ومنحهما الحياة واختار لهما سكناً في الجنة، وأعطاهما كل النعم. ومنعهم فقط من أكل الفاكهة الممنوعة. اعتبر معظم المفسرين الفاكهة المحرمة تفاحًا، وفي بعض الأحيان قالوا إنها القمح. يقال هنا أنه في هذا الوقت قام الشيطان بحيلته الأولى وأخذ بقلبه الضغينة وخدع آدم وحواء وأجبرهما على الأكل من الثمرة الممنوعة، وأدت هذه الخطيئة إلى غضب الله سبحانه وطردهما من الجنة وهبوط آدم من الجنة وتقليل مكانته. ثم جلس آدم في مهبطه وصلى لغرض التوبة وعودته إلى الفردوس فقبلت توبته وتخلص من معصيته (البقرة ٣٨-٣١).

يشير الشاعر حافظ الشيرازي إلى هذا الحدث في شعره عندما أنشد: "باع أبي روضة الرضوان (الجنة) مقابل حبتين من القمح، سأكون ناكراً لأبي إن لم أبعها بحبة شعير" (حافظ، ١٣٧٩: ٢٦٥).

وأنشد أيضاً: "لم اسقط من حجاب التقوى أنا فحسب؛ أبي كذلك ترك الجنة في الأزل" (حافظ، ١٣٧٩: ٦٣).

لكن رواية الصابئين تأخذ منحى آخر في هذا المجال. بحصب معتقد المندائيين "أمر الرب العظيم ملائكته المقربين: أن يزيلوا الأرض من حالتها الذائبة وأن يحولوها إلى جماد. تم إجراء هذا التحول والتعديل في ثلاث فترات، استمرت كل فترة ٦٠ مليون سنة حتى تجمدت الأرض تمامًا (على الرغم من أن الوقت في عالم النور غير مطروح، وبأمر من هيّي ربي، نزلت ميّا هيّي على الأرض بشكل المطر وتكونت البحار والأراضي والجبال وخُلقت النباتات والأشجار وأخيراً الحيوانات من المياه العذبة. ولكي تخلق البشرية أمر الله تعالى الملائكة أن يصنعوا تمثال آدم من الطين ومن بقايا نفس الطينة صنعوا حواء أيضًا. سقط جسم هامد على الأرض. طلب الملك المأمور الأمر من الرب، ماذا يجب أن نفعل بهذا الجسد فاقد الروح على الأرض؟ جاء الأمر: أدخلوا نشتما (الروح) من عالم النور في جسد هذين الجسمين. أمروا نشتما بدخول جسد النبي آدم وحواء. احتجت نيشما (الروح)، ما هي الخطيئة التي ارتكبتها حيث تريدون إخراجي من عالم الضوء ووضعي في هذا الجسم الطيني، قيل لها أن الله هو صاحب عالم النور، وأنه من أجل إحداث الخلق البشري، طلب منك أن تدخلي هذه الأجسام الطينية لفترة مؤقتة، وعندما تتم مهمتك، سوف تخرجين من الجسد وستعودين إلى عالم النور. طلبت نشمتا طريقة محاربة هذا الجسد الذي سيتحرك بعد دخولي، كيف يمكنني محاربة الشياطين؟ جاء الخطاب لنشتما؛ عندما تدخلين الجسد لتبدأي الحياة البشرية، سأرسل لك سلاحًا سيكون وهو كنزا ربا (الكنز العظيم) من صحف آدم (أزن)، والذي سيتم تعليمه للنبي آدم (أزن) وهذا سيهديك الطريق (العسكري، ١٣٩٤: ١٤).

بحسب هذه الرواية، بعد أن تشكل آدم a من الطين وخلق زوجته ودخول الروح في جسدهما، عاشا سعيدين معًا برغد في الجنة العليا ووفقًا للمهمة التي جعلها الله على عاتقهم بزيادة النسل والنوع الانساني؛ طُردوا من الجنة، وسبب نزولهم لم يكن عصيان الله وارتكاب الخطيئة، بل بسبب اختيارهم من قبل الله لعمل أمر عظيم، ومن أجل التغلب على إبليس، ونالوا السلاح الذي يؤهلهم لهذه المهمة.

كنتُ ملكاً وكان مكاني الفردوس الأعلى، لكن آدم هو الذي جاء بي إلى هذه الصومعة الخربة (حافظ، ١٣٧٩:٢٤٥)

إن ما يلفت النظر في هذا المجال، حوار آدم a مع الله جل وعلا بعد اطلاعه من أمر الله للقيام بالمهمة الكبرى. خشي آدم من هذه المهمة ويقول: كيف أصل إلى هذا المكانة التي يحتلها إبليس !

لكن كان أمر الله تثبيتاً لقبله وما يبعث فيه الطمأنينة هو السلاح السماوي باسم "كنزا ربا" والذي لم يساعد آدم الأول فحسب، بل يساعد جميع أبناءه حتى يوم البعث وأمام جميع مكائد إبليس ويكون دائماً مناراً بين أيديهم ليعرفوا بذلك الهداية من الضلالة.

١. الله العظيم

٢. الماء الجاري، الماء المانح للحياة

٣. اسوثا زكوثا نهويلي: الصلاة والسلام عليه

خلق الأنساب

تمت الإشارة إلى هذا الموضوع في القرآن الكريم بصورة متفرقة في عدة سور؛ بما في ذلك الآية الأولى لسورة النساء المباركة:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقيباً﴾ (النساء/١)

ما هو المقصود من "النفس الواحدة" و "زوجها" اللذان خلق منهما الناس؟

حسب رأي العلامة الطباطبائي، يبدو من ظاهر سياق الآيات الكريمة أن المراد من "النفس الواحدة" هو آدم a والمقصود من "زوجها" حواء اللذان هما أبوا أجيال البشر وما يبدو من ظاهر القرآن الكريم أن جميع أفراد البشر ينتهي نسبهم إلى هذين الشخصين، كما يظهر من الآيات التالية: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾ (الزمر/٦) وقوله تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾

(الأعراف: ٢٧) وقوله تعالى حكايةً على لسان إبليس: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٦٢).

لكن لبعض المفسرين رأي آخر حول معنى "النفس الواحدة" و "زوجها" وقالوا: المراد من "النفس الواحدة" و "زوجها" في الآية الشريفة مطلق الذكور والإناث لتناسل البشر بما يعني أن جميع البشر قد ولدوا من الأب والأم، فبالتالي يصبح معنى الآية الكريمة هكذا: كل واحد منكم أنتم أبناء البشر تم خلقكم من أم و أب أو بعبارة أخرى من شخصين من البشر، دون أن يكون هناك فرق بينكم. إذن كلام هؤلاء المفسرين يفيد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) وملخص القول هو أنكم يا أبناء البشر، بما أن كل واحد منكم ولد من أب وأم، فليس بينكم أي فارق.

طبعاً من الواضح عدم صحة هذا الاحتمال، فقد أهمل هذا المفسر وجود فرق واضح بين الآيتين، أي آية سورة الحجرات وآية سورة النساء، لأن آية سورة الحجرات هي تعبير عن حقيقة أن البشر متماثلون من حيث "حقيقة الإنسانية"، ولا فرق بينهم في هذا المجال، بمعنى أن كل واحد منهم ولد من أب وأم بشريين. لذلك لا ينبغي للمرء أن يكون متكبراً على الآخرين، ويعتبر نفسه أفضل من غيره، إلا بحسب معيار واحد وهو التقوى. لكن آية سورة النساء التي نناقشها، تتحدث في موقف مختلف. تريد هذه الآية أن توضح أن البشر هم حقيقة واحدة من حيث "الحقيقة والجنس" ومع كل التعددية التي لديهم، فإنهم جميعًا متفرعون من جذر واحد، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١)، هذا المعنى يستخدم بشكل واضح. كما يمكن أن نرى، فإن مثل هذا المعنى لا يلائم احتمال أن يكون معنى "النفس الواحدة" و "زوجها" هو كل الذكور والإناث البشريين. بصرف النظر عن هذا السبب، فإن المعنى غير متوافق مع الغرض الذي تسعى إليه سورة النساء، والذي تم ذكره"(طباطبائي، ١٣٧٠، ج٤: ٢٤).

معنى كلمة "زوج" وجملة "و خلق منها زوجها": بحسب قول راغب الاصفهاني، فإن كلمة زوج في جملة "وخلق منها زوجها" تعني أحد أطراف العلاقة الزوجية وتستخدم

الكلمة للتعبير عن كلا القرينين سواء كان ذكراً أم أنثى؛ أي يقال للرجل زوج و للمرأة أيضاً زوج وكذلك تستخدم هذه اللفظة في الكائنات غير الحية أيضاً يقال لكل اثنين زوجاً. مثل النعل أو الحذاء يقال هذا زوج ذلك وكذلك يقال لكل ما هو مشابه وقريب من الآخر أو ضد الآخر يسمى زوجه. ثم يتابع راغب كلامه فيقول: الزوجة كلمة غير مرغوب فيها.

يعني الصحيح في استخدام هذه الكلمة يجب أن يقال للمرأة "زوج" أيضاً لا زوجة. وظاهر الجملة محل النقاش أي "وخلق منها زوجها" تفيد بأن كانت زوج آدم من نفس نوعه وكانت بشرية مثله وهذه الشعوب غير القابلة للإحصاء المنتشرون على وجه المعمورة كلهم ولدوا من فردين بشريين متشابهين؛ إذن فإن حرف "من" تشير إلى النشأة والعبارة التي نناقشها تفيد النقطة التي تعبر عنها الآيات التالية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١) و ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (نحل:١٦)، و قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ (الشورى: ٤٢) وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩). بناء على ذلك من الخطأ ما جاء في بعض التفاسير بأن المراد من الآية التي نناقشها؛ أن زوجة آدم تم خلقها من جسده. وإن جاء في الرويات بأنها خلقت من ضلع آدم، لكن الآية لا تفيد بذلك وليس هناك شيء في الآية يدل على هذا المعنى.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: كلمة بث تعني التجزئة عبر النثر وما شابه ذلك وجاء في آية أخرى من القرآن الكريم: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (الواقعة:٦) أي أن الجبال تتجزأ بشكل ذرات متفرقة ومن هذا المنطلق يقال للشكوى من الحزن "البث". لأن الشكوى في الواقع هي الأحزان المتراكمة على القلب ولذلك قد تستعمل لفظة "بث" للحزن وعندها تم استخدام المصدر كاسم مفعول، لأن الحزن هو المبثوث الذي يبثه الانسان وينشره. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦) جاءت بهذا المعنى ويبدو من الآية الكريمة أن الجيل الحاضر من الناس إنما ينتهي نسبه إلى آدم وزوجه وليس لأحد دور في نشر سلالة البشر سوى

هذين الشخصين، لا حوريات الجنة ولا شخص من الجن ولا أحد سواهما وإلا لقالت الآية: "وبث منهما و من غيرهما" بعد قبول هذا المعنا؛ يمكن أخذ نتيجتين بعين الاعتبار.

إن كل البشر نسلوا من آدم وحواء وبحسب رأي العلامة الطباطبائي، المقصود من عبارة ﴿رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ أن كل البشر والأفراد الذين انشعبوا من هذا الشخصان إما مباشرة (مثل هابيل وقابيل وغيرهما) أو بواسطة (مثل باقي أبناء البشر حتى قيام الساعة) (طباطبائي،١٣٧٠، ج٤: ٢٥٠).

سلالة آشو آدم a : فيما يخص أبناء آشو آدم a هناك تذبذب في ما تفيده الأديان الإبراهيمية، لكن عند تجميع أرائهم يبدوا وكأن لدى أبوي جميع البشر ثلاثة أولاد وثلاثة بنات واسماء الأولاد هابيل و قابيل و شيث واسماء البنات اقليما واليزا وفريدا. ربما ذكرت الأديان الابراهيمية أن أبنائهما أربعة (ولدان وبنتان) وظنوا أن ولادة الإبن الثالث (شيث) بعد قتل هابيل بيد أخيه قابيل.

الرأي الهام بين هذه الأقوال ليس عدد أبناء آشو آدم a ؛ بل فضلاً من ذلك، هو كيفية التزاوج بينهم واتخاذ أبناء آدم للأزواج ومنها تحدث ثنائية النظرة بين أتباع الأديان الإبراهيمية والمؤمنين بديانة الصابئة المندائية. هنا نأتي برأي العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ورأي المندائيين:

- يرى العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان أن زواج أبناء آدم الذين أنجبهم مباشرةً، قد تم بين الأخوة والأخوات: أن الازدواج في الطبقة الأولى بعد آدم و زوجته أعني في أولادهما بلا واسطة إنما وقع بين الإخوة و الأخوات ازدواج البنين بالبنات إذ الذكور و الإناث كانا منحصرين فيهم يومئذ (في ذلك الوقت لا يوجد غيرهم بنات كي يتزوجن أبناء آدم و لا كان هناك رجال ليتزوجوا بناته)، ولا ضير فيه (وإن كان غريباً في عصرنا لكن بما أنه) حكم تشريعي راجع إلى الله سبحانه فله أن يبيحه يوما و يحرمه آخر. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر، ٦٥)، ((ولا يشرك في حكمه أحدا)) (كهف، ٢٦)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (يوسف، ٤٠).

- وجهة نظر الصابئة المندائية: للصابئة رأي مختلف حول زواج أبناء آشو آدم الأول. إنهم يرون بأن أبناء آدم ولدوا نتيجة ثلاثة مرات من الولادة من آشو حواء، وفي كل مرة كانت تلد توأمين؛ ولد وبنت. وكان أول إنجابها هابيل وإقليما، ثم قابيل واليزا من انجابها الثاني وفي الأخير شيث (شيتل) مع فريدا؛ كلهم ولدوا من بطن أم جميع البشر وجاؤوا إلى الأرض. تجدر الإشارة هنا الإشارة إلى مكانت النبي شيتل a وهو النبي الثاني للصابئة المندائيين ويعتبرون له مكانةً عظيمة جداً. حسب روايات المندائيين ومعتقداتهم، شيتل هو أول إنسان خضع لأمر الله سبحانه وقبل الموت بحالته الحاضرة ورقد في بطن التراب بعد موته. قصة موت هذا النبي جاءت بإسهاب في كتاب كنزا ربا وملخصها كالتالي:

بعد أن تقرر حُكم الموت بأمر الله في الدنيا، قال الخالق الاحد: بلغ عمر آدم ألف سنة، والآن يجب أن يُدعى وتزال روحه (نشمتاه) من جسده؛ قبل أن يصبح شيخاً متهالكاً. بهذا الأمر الإلهي، تم تكليف ملاكين يدعيان قمامير زيوا و صاروبيل شرويا بتنفيذ الأمر الإلهي. بعد أن ذهب الملاكان إلى النبي آدم a ونقلوا أمر الله، طلب آدم من الله ألف سنة أخرى ثم قدم ابنه الصغير شيتل وقال خذا هذا. عندما أخبر الملكين النبي شيتل بأمر الله وأطلعوه بالأحداث، قال في نفسه: أخشى أن أقول إنني لا أريد أن أترك جسدي؛ قد يعتبرها الرب لي وصمة عار كبيرة. ثم قام النبي شيتل وأطاع الأمر، وتركت الروح جسده..." (العسكري، ١٣٩٤: ٢٩).

على أي حال عندما حان وقت تزاوج أبنا آشو آدم a ، طلب من الله سبحانه أزواجاً لأبنائه وخلق الله سبحانه ستين بنتاً وولداً آخرين كي يستطيع أبناء آدم الخمسة أن يختاروا أزواجهم وهكذا إزدادت سلالات آخرى من نسب آدم عليهم السلام (كنزا ربا، اليمين، ١٣٩٥: ٣٠).

نتيجة البحث:ـ

إن قراءة الأفكار الإسلامية ومقارنتها مع ما يعتقده الصابئة المندائيين حول خلق آدم a وتناسل البشر بعده، يظهر أن ما يراه المندائيين يختلف مع الاسلام والأديان الأخرى المنضوية ضمن الأديان الإبراهيمية. يمكننا اعتبار رؤية التوراة والانجيل والقرآن متطابقة

بقليل من الاختلاف، لكن تختلف رؤية كنزا ربا مع تلك الكتب السماوية. يرى القرآن الكريم السبب في طرد آدم a وزوجه من الجنة إطاعتهم لمكائد إبليس وإثارة غضب الله سبحانه، وإن كان يؤكد على عودتهما إلى الله سبحانه، في حال أن المندائيين يرون أن هذا الخروج من الجنة لم يكن بسبب الذنب وعقوبةً له، بل هو نتيجة المهمة التي أحالها الله عليهما للقيام بعمل ذي قيمة عالية. قد تكون هذه الرسالة نفس الإشارة التي جاءت في كلام الله في الحديث القدسي حيث قال عز من قائل: " كنت كنزا مخفية فاحببت آن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف". كذلك يرى العلامة الطباطبائي الأخذ باستدلاله القيم حول تزاوج أبناء آشو آدم فيما بينهم؛ لكن التوحيديين المندائيين لهم معتقد آخر ولم يستحسنوا زواج الإخوة بالأخوات حتى في بداية الخلق.

الكلمات المفتاحية: كنزا ربا، هيي ربي، مياي هيي، نشتما، اثونا زكوثانهويلي، قمامير زيا، صاروبيل شرويا.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. گنزا ربا

٢. خامنه أي، سيد على حسيني، ١٣٨٨، ترآوا، تحقيق در حكم صابئين مندائي.

٣. سليم جيزان، الطباطبائي، سيد محمد حسين، ١٣٧٠، بنياد علمي و فكري استاد علامه محمد حسين طباطبائي، ترجمه ناصر مكارم شيرازي، الميزان.

٤. چحيلي، سالم، ١٣٩٧ ترآوا، درفش.

٥. عسكري، شيخ اسعد، ١٣٩٤، ترآوا، مندائيت، دين توحيدي باستاني.

٦. سيدرا اد نشمانا ١٩٩١ بصره، نسخه عربي

٧. حافظ ، ١٣٧٩، سروش

٨. احمدي، سهيلا، ١٣٩٦، پژوهش‌گاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي، بررسي تاثير پذيري واژگاني زبان مندائي از زبان هاي رايج در خوزستان.

٩. شيرالى، عادل، ١٣٩٢، دفتر پژوهشهاي فرهنگي، صابئين مندائي در ايران

١٠. خميسي، ساهي، ١٣٩٤، ياد آوران، آيا صابئين مندائي را مي شناسيد.

١١. مقابلات شخصية متعددة مع: اشكندا سالم چحيلي، استاذ العرفان المندائي في الأهواز.

١٢. مقابلات شخصية متعددة مع: سركار خانم ربسان خفاجي زاد، الأم المعنوية للمندائيين في ايران.